من كنوز التراث الإسلامي

طريق الله تعالى

للإمام عبد الكريم القشيري

حققه وشرحه

دكتور
إبراهيم بسيوني

دكتور
محمد غانم

(الطبعة الثانية)

بسم الله الرحمن الرحيم
رب يسر وسهل

(١) (بداية الطّريق : التأدُّب بشيخ)

قال الأستاذ رضى الله عنه :

يجب أن يكون العبد مجردا عن الدنيا ، لا يملك شيئا ، وأن يكون عالما بما يلزمه من فرائض الحق سبحانه وتعالى عليه : توحيدا وشريعة .

وأن يكون أبدا على الطهارة فى نفسه وأثوابه .

وعليه أن يتلمذ لمن سلك — من بين الناس — طريق الله تعالى وتجرد لذلك .

وعليه ألا يشتغل بشىء سوى الحق — سبحانه — حتى ينفعه التعليم .

والتلمذة لمن سلك طريق الله سبحانه وتعالى تجعل السلوك فى طريق الله أقوى وأسرع ، أما من تلمذ لمن لا يوثق فى علمه بهذا الطريق فقد تحجب(٢) .

(١) هذه العناوين الجزئية المرقمة والموضوعة بين قوسين ( ) هى من وضعنا .. تسهيلا للرجوع الى شروحها فى الباب الثالث .

(٢) فى ج تعجب وفى ت تحجب وهى الصحيحة

انه قد يصل مرة .. ولكن بعد حين ولا يكون بتلك السرعة ، لأنه لا يعنيه شيء عن همة(١) أستاذه وعلمه ، وهو في هذا يكون أشبه بالولد من فحل سوء أما الأول فيكون كالولد عن فحل نجيب .

***

ويشترط الأستاذ على المريد أن يختار الفقر على الغنى ، والذل على العز ، والله — سبحانه — على غير الله .

والا يأكل (الا) ما يعنيه(٢) — وان أكل غيره ، والا يقول ما لا يعنيه — وان قاله غيره ، والا يؤثر الرخاء — وان آثره الذين يراهم معه في الرباط .

فاذا ما قبل هذه الطريق يقول له الأستاذ : قبلتك لأوصلك الى طريق الله تعالى بقدر ما تعرف ، وانى لن أبخل عليك بقدر ما عرفته .

ثم يبدأ بتعريفه بأن يوصيه(٣) أن يرى جميع احواله من الله ، وأن أى توفيق يصيبه فهو من الله .. ثم يقول له قل : الله الله الله . ويشدد وصيته له بأن يواظب على هذا الذكر ، والا يشهد غيره ، والا يفكر في غيره ، وانه اذا شغله عن هذا الذكر أمر من أمور الدنيا فالواجب طرح ذلك الأمر .. حتى لو كان موت والديه !

(١) في ج همت بالتاء المفتوحه .
(٢) في ف يغنيه وهي ساقطه في ج .
(٣) في ف يوصيه الأستاذ .

ويوصيه الأستاذ باتباع الطاعات ، وبخاصة أداء الفرائض والسنن وركعتي الضحى ، وبعد كل وضوء ركعتين .. ثم يعود بعد أداء هذه الطاعات الى الذكر (دون سواه) .

(٢)(الذكر وامتداده)

ويستمر المريد في الذكر حتى يغيب به عن جميع الأشياء ، ويتوقف ذلك تماما على توفيق الله اياه في تقويه ارادته .

ثم يغيب بالذكر عن نفسه .

ثم يغيب بالذكر عن الذكر .

ويبقى مرددا مدة طويلة بين غيبة(١) عن الذكر بالذكر ، وبين حضور الذكر بالذكر ، ولا يزال يرتقى في كل غيبة وحضور الى رتبة أخرى .

حتى يرد وروداًخر عليه أعلى مما سبق ، وعنده يفنى العبد عن كل هذه الأحوال — وهذه هي حال البقاء ، وهي غيبة يسلب فيها عنه لسانه وسمعه وبصره وتبقى له شهادة القلب ، ويعجز فيها اللسان . ويكون القول هنا بالقلب ، نطقا .. لا علما أو مشاهدة ، بل كما كان ينطق بلسانه من قبل فانه هنا يذكر بقلبه .

(١) في ج غيبه وهي خطا في النسخ .

حتى يرد عليه ورود آخر أعلى من سابقه ، وذلك بعد مدة ـ حسبما يشاء الله له وعليه • ويكون هذا الورود من حيث الهيبة ، وحين يبدو هذا الورود يظن العبد (عنده) أنه قريب من أنوار الحق ويفنى العبد فى هذا الورود • وعند ذلك يردد العبد بين حالى البقاء والفناء •

وفى كل مرة يرد الى البقاء تزداد عبارات قلبه حتى تنتهى الى أذكار يجدها قلبه(١) مدة بالسنة مختلفة ، وبعبارات لم يسمعها من قبل ولا(٢) خطرت بباله •• انها كلها ذكر لله(٣) يملأ كل قلبه حتى انه ليتوهم أن جملة الكون كله تشترك بعبارات مختلفة فى هذا الذكر • ويصير العبد بحيث لا يميز بين الذكر الذى يبدو من قلبه وبين ذكر الكون من حوله ، وذلك بسبب غلبات الأذكار عليه ، فهو يسمعها كلها فى وقت واحد •

وبعد ذلك يورد ورودا آخر ، وخير وصف له أن من ذاقه من سالكى هذه الطريقة ـ على سبيل الوهلة(٤) ـ فانه يموت وذلك من هيبة الحق ـ سبحانه • وعند هذا الورود يفنى العبد ولا يبقى منه شىء •

---

(١) هكذا فى ج وهى فى ف (قبله) •
(٢) هكذا فى ج وهى فى ف (والا) •
(٣) هكذا فى ج وهى فى ف (الله) وهى غير مرفوضة فى السياق .
(٤) فى النسختين (الوصله) وهى خطأ ـ كما نعلم من اسلوب القشيرى فى هذا السياق .

وبعده يرد الى حال البقاء فتسلب(١) عنه أحوال القلب من الشهادة وغيرها اذ يبدو له من الغيب سر ، وعلامته ألا يبقى(٢) للعبد انفسه فى نفسه شىء ، فليس له الا الله ، هذه الحالة تشبه حالة البحر عندما تصير كل الأنهار اليه وبحكمه •• وليس لغير الله حكم • وعندها لا يكون(٣) من العبد حركة •• وكان قبلها يتحرك بالوارد الذى يرد عليه . أما الآن(٤) فانه يتحرك بحركة البحر ، فاذا ما تحرك البحر تحرك ، وان سكن سكن ؛ وهو انما يسمع ويبصر ويشهد بما يبدو له ، وليس بعد هذه الحالة لبشريته من سلطان عليه ، ولا حتى لذكره أو جميع أحواله •• انما السلطان هنا(٥) للبارى وحده ـ عز شانه •

والعبد فى خلال هذه الحال الأخيرة ، وعند وصوله الى هذا المقام الذى هو نهاية ـ يرى جملة الكون يضىء(٦) بنور الله تعالى بحيث لا يخفى عليه فيه شىء ، فكأنه يرى جميع الكون من السماء والأرض •• لا رؤية عيان ولكن رؤية قلب وبصيرة ، لأنه لا يرى فى هذا الوقت (بعينه من حيث هو شىء)(٧) ، كما أنها ليست رؤية علم حيث لا يشعر بحركة فى الكون لذرة أو لنملة •

---

(١) فى ف (يسلب) •
(٢) فى ج (فلم يبق) وفى ف (فلا يبقى) •
(٣) فى ج (والا يكون) •
(٤) فى ف (فالان) وهى غير مرفوضة فى السياق •
(٥) هكذا فى ج وهى ف (هذه) وقد تكون فى الاصل (فى هذه) .
(٦) هكذا فى ج وهى فى ف (لهن) والسياق يرفضها •
(٧) ما بين القوسين مبهم فى النسختين وقد قومناها هكذا ليستقيم السياق •

الفصل الأول

(٣)(مَحَاذِيرٌ وَعُقوبَات)

اذا تحقق الذاكر فى ذكر اللسان رجع ذكر لسانه الى القلب ، (فيذكر بقلبه ، وعند ذلك ترد عليه أحوال يجدها ويسمعها)(١) من قلبه ذكرا لله ، انها أسماء وأذكار لم يسمعها من قبل قط ، ولا قرأها فى كتاب ، انها بعبارات مختلفة والسنة متباينة .

والعبد — ان لازم همته ، ولم يلتفت الى هذه الواردات ولم يلاحظها نال(٢) منها المزيد بعد المزيد حتى ينتهى الأمر الى ذكر السر .

ومرة أخرى .. ان التفت الى ما يجرى عليه من هذه الأحوال ، لاحظ هذه التسميات والأذكار ، أو نظر اليها واشتغل بها — فهو قد أساء الأدب واستحق العقوبة فى الوقت ، وعقوبته : أن ينقطع — أولا — عنه المزيد(٣) ، ثم يعاقب ثانيا ان صبر على ذلك . وتكون العقوبة بأن (يرد عن هذه الأحوال الى حال العلم)(٤) .. اذ يظن — متوهما — أنه قد فتح عليه بعلوم(٥) الأولين والآخرين .

---

(١) ما بين القوسين مقوم حسبما ورد فى الكتاب نفسه فى مواضع شتى .

(٢) فى ج (مال) وهى مرفوضة فى المعنى .

(٣) فى ج (المريد) وهى غير مقبوله .

(٤) فى النسختين (بان يرد الى حال العلم) .

(٥) فى ف (علوم) .

وعندما يلاحظ ذلك ويغتر به فهو من قبيل سوء الأدب الذى يستحق العقوبة ، والعقوبة هنا بأن يرد الى حال الفهم .

والفرق بين حال الفهم وحال العلم أن العلم كان وجوها(١) ترد على قلبه أما الفهم فهو نظر الى هذا العلم ، فكان(٢) الفهم هو علم بانه كان له علم بتلك المسائل .

وهو ان نظر الى الفهم فقد أساء الأدب وعقوبته فى هذه المرة الأخيرة أن يرد الى حال الغفلة — (والعياذ بالله)(٣) .

---

(١) فى ف (وجود) .

(٢) فى ف (كان) وفى ج (كان) .

(٣) اضافه من عندنا ليتماسك السياق ويتضح .

الفصل الثانى

(٤) (القلبُ الذاكرُ)

اذا ذكر العبد بلسانه وقويت(١) همته فى هـذا الذكر وواظب على ذلك حريصـا عليه راغبـا فيه بحيث لا يبقى(٢) منه جـزء(٣) الا وله الحرص والرغبة — فانه ينظر بقلبه فيجد أحوالا ترد عليه اثر أحوال ، فقـد يتوهم أنه يربو ويعظم حتى كأنه يصير أكبر من كل شىء !

وعند هذا التوهم يرد عليه من الحق سبحانه قهـر من خوف يدهشه ، وبه يمنع(٤) العبـد من أن يعظم فى نظر نفسه ، فيذهب ذلك عنه ، ثم يصطلمه(٥) فيعيده .

فاذا أعاده عاد العبد الى حالة أقوى من الأولى . ويعظم حتى كأنه أعلى من حالتـه الأولى .. فيرده .. وهكذا : لا يزال العبـد مرددا بين هذه الأحوال :

---

(١) هكذا فى ج وهى فى ف (فتتوى) .
(٢) فى ف (الا يبق) وهى خطأ اسلوبى ونحوى .
(٣) فى ف (جـزو) ولا بأس بها ، ولكننـا آثرنا الأسـهل على اللسان .
(٤) فى ف مشتبهه .
(٥) فى ف (يصطلبه) وهى خطأ ، لأن الاصطلام اصطلاح صوفى (انظر الشروح) .

زيادة يرتقى بها مع كل نفس وكل ساعة الى أن يرد عليه قهر عظيم .. وتلك شئون ذكر اللسان .

فاذا فنى الذاكر فى ذكر اللسان — كمـا سبق — انقطع عنه ذكر اللسان ، وعندئذ لا يجد العبـد من نفسه شيئا : لا من السمع ولا من البصر — الا شـيئا (١) ضعيفا ، ويصـير كل ذلك بعدئذ الى القلب ، فيسمع من قلبه الذكر .. وعنـد هذه الحالة يتمنى أن يكون وحده فى مغارة(؟) لأن عنـده أن الناس يسمعون بآذانهم ذلك الذكر الذى فى قلبه ، وهو لا يدرى أن أحدا غيره ليس يسمع ذلك الذكر .

---

(١) هكذا فى ج وهى ف (شاه) ولا معنى لها .

الفصل الثالث

(٥)(ذكر الجَوَارح)

عند(١) ابتداء الذكر بالجوارح يجد العبد حركة في كل جوارحه حتى لا يبقى جزء من لحمه وعظمه الا وفيه حركة واختلاج •

وتقوى الحركات والاختلاجات حتى تصير أصواتا وكلمات تتبعه مسموعة من جميع الجوارح والأجزاء ــ ماعدا اللسان ، لأن اللسان لا ينطق في مثل هذه الأحوال •

ويلازم العبد التركيز في هذه الهمه وهو يتيقن أنه لو لاحظ هذه الأذكار وطلب علمها فانه ينفى عنها الى غيرها •• ذلك لأن الذكر قد وقع على القلب •

صحيح انه في حال ذكر اللسان قد يكون للجوارح حركات واختلاجات ولكنها ليست على هذه الدرجه من القوة والشموليه •

---

(١) في ف (في البداء)

الفصل الرابع

(٦)(الشّرب)

يظهر على العبد شيء يجد له حلاوة في فيه وفي حلقه حتى ليقوم(١) له ذلك مقام طعامه وشرابه ، وهو يجد منبع ذلك الشراب ــ في(٢) أصول أسنانه ــ أحلى من العسل ، فيبقى أسنانه مطبقه بعضها على بعض ، ويشق عليه لو يفتح فاه حينما يجد الشراب في فيه على هذا الوصف •

وفي حال هذا الشرب يقرب العبد من الموت كأنه(٣) يذوب ويكاد يموت ، والواقع أنه لا يخاف عند ذلك الا من الموت ، لأنه يحول بينه وبين هذا الشرب •

وهذه الرتبة التى يبلغها العبد يهرب عندها ألف رجل من هذه اللذة ، ولا يهرب منهم واحد من الألم ، لأن(٤) هذه اللذة أصعب واقرب من الموت ، حيث يذوب العبد ويتلاشى وكأنه في طريقه الى الموت • وقد يبلغ العبد في هذه الحالة الى درجه أنه ان صحبته هذه اللذة دون أن تسقط عنه الى حال (أدنى) أن يهرب من الخلوة ، لأنه اذا ما خلا هكذا ساعه استولت عليه اللذة حتى تقرب به(٥) من الموت •

---

(١) في ف (يقوم) .

(٢) في ج هكذا وهي في ف (من) ولا باس بها ايضا .

(٣) في ف (بحيث) وهي جميلة في السياق ولكننا آثرنا في (ج) توضيحا لمرحلة ادنى من مرحلة قادمة .

(٤) في ف (فان) وليست خطا .

(٥) في ف (تقربه) .

ولهذا فان بعض المبتدئين يهرولون من الخلــوة عندئذ ويؤثرون الخلق(١) هروبا من هذه اللذة •• ويقول أحدهم : أنا أهرب من الخلوة لهذا الشأن !

قال الأستاذ :

وصاحب هذه الأحوال فى حال، هذه اللذة تقوى معرفته ، ويحتد بصره وبصـــيرته حتى كأنه يسمع وقع أقدام النمل ! وهو فى البداية يتمنى الا ينام(٢) ، ويبذل أكبر همته فى الا يجد المنام أو يستريح من هذه المسالة • ولهذا فان علامه صــــحة هذه اللذة أن العبد لا يأخذه النوم طالما هو فى هذه المســـالة حتى لو بقى سنين •• (وعندما تضعف هذه المسالة)(٣) فانه يجد النوم(٤) •

---

(١) هكذا فى ج وهى فى ف (الخلوة) وهى خطا فى السياق •
(٢) فى ف (المنام) والسياق يرفضها •
(٣) فى ف مضطربة العبارة •
(٤) هكذا فى ج وهى فى ف (المنام) •

الفصل الخامس

(٧) (حَال جَمْع الجَمْع)

لأهل النهايه مســـاله •• وهى أنهم قد يرد(١) على سرهم مرة خطاب لا يشكون أنه من الحق سبحانه ، ويكون هذا الخطاب باللطف(٢) والمناجاة ، فيجيب السر على هذا الخطاب •

والعبد يسمع من الحق الخطاب ومن السر الجواب(٣) •

فاذا كان الخطاب بالهيبة سكن السر من هذه الهيبه •

ولكن العبد قد يجد مرة كلاما هو فى نفسه خطاب وجواب ، وأنه ــ أى العبد ــ ليس له فى هذا أو ذاك شئ يعلمه بمعرفته الخاصة ، وانما هو أشبه بالنائم عنهما •• انه ليس هو الحق •• لا بل ان ذلك كلام الحق ••انها حيرة ، وليس له أى تمييز •

وهكذا •• فان غابت(٤) عن العبد هذه المعرفه اللطيفه ، وارتفع عنه التمييز فقد وصل الى حال جمع الجمع ، (وتصدر عن العبد عبارات ظاهرها غريب غامض ولكن باطنها سليم) •

---

(١) فى ف واو زائدة (قد ويرد) •
(٢) فى ج (اللطيف) •
(٣) هكذا فى ج وهى فى ف (والعبـــد يسمع من السر الجـــواب) ومن الحق (الخطاب) ولكن السياق يقتضى تقويم النص على هذا النحو •
(٤) فى ف (غاب) •

فالعبد اذا يعلم حقيقة الأمـر (المريب) بما له من وحشـة(١) ومباهية •• واذن فليس ذلك من لدن الحق سبحانه بل من الشيطان •• مهمـا كان ظـاهره ، حتى لو دعـا الى طـاعة : كالأمر بالحج او بر الوالدين مثلا •

وانما قصد الشيطان أن يرتج على العبد برده من الحالة العليـا الى الحـالة الدنيا ، ويريد الشيطان أن يربح مراده فى هـذا العبد بهذا القدار •

كذلك فان هـذا الخاطر ـ الذى من الشيطان ـ انما يعلم انه منه بكونه ضدا للحال التى عليها العبد ، ومع أن الشيطان ربما يصور للعبد ان تلك حالة أعلى من حالتـه الا انه يكون ضـدا الا بالعبد (فى ميزان) الاستحلاء والوحشة • أما اذا كان الخاطر من الحق سبحانه فانه يجد له الشاكلة لما مع(٢) العبد فيتفقان ، كشخصين(٣) متفقين فى الصنعة والهمة يلتقيان ويتفقان ، أما اذا كانا ضدين فى الحرفة فانهما يتراجعان • وكذلك شأن العبد : اذا كان على خاطر من الحق سبحانه ، ومعه (ما معه) من الصناعة ورأس(٤) المـال فاذا(٥) ورد عليه شىء من الشيطان عند ذلك استطاع ان يفرق وأن يميز بينه وبين ما هو عليـه

---

(١) فى ج (بالوجه) وفى ف (بالوحشة) بالشاء •
(٢) فى ج (معا) وفى ف (مع ما) •
(٣) فى ج (بشخصين) •
(٤) فى ج (ورائس) •
(٥) (الفاء) اضافة من عندنا ليتماسك السياق •

الفصل السادس

(٨) (حينما يقتحم الشيطان حصن أرباب الأحوال)

العبد يعرف الخواطر ، ويميز بينها • وذلك بأن يعرضها على العلم والأمر والنهى ، فما يصـح منها (فى ضـوء ذلك) فهو الصـحيح وما لا يصح فهو باطل يجب طرحه •

والطف من(١) ذلك مسالة اخرى •• هى (٢) أنه ربما يكون العبد قد وصل الى حال شريفة ، ويريد الشيطان أن يرده عنها الى حال(٣) ادنى من تلك الحال •• فيدخل عليه الشيطان ويخطر بباله • ولكن العبد حينما يعرض ذلك الخاطر الدخيل على العلم وعلى الأمر والنهى يكون صحيحا ـ مع أنه من الشيطان • ولكن هذا العبد العارف يعرف بمقدار (معرفته حقيقة الأمر)(٤) •• وقل فى الناس من يفطن الى ذلك •

ان العبد يعرف حقيقة الأمر بانه يشعر بوحشة تعود عليه منه ولهذا فحينما يصل الى القلب ويرد(٥) عليه يصرفه القلب فورا لأنه يوجعه كأنما هو طعام ليس به ملح •

---

(١) فى ف (فى) •
(٢) فى النسختين (وهو) •
(٣) فى ج (حالة) والكلام فى الاحوال ومفردها حال حسب المصطلح •
(٤) عبارة مقومة لان الاصل مضطرب •
(٥) فى ج وف (أورده) •

(ف ميزان) الضدية والشكلية ، أى بين وارد الشيطان — لعنه الله — وبين وارد الحق(١) — جل وعلا •

هذه الخواطر والأحوال التى ترد على العبد لها أصوات يسمعها العبد ، وهى أحلى ما يكون وأحسن ما يكون حتى كأنها ألذ وأطرب وأشهى من أصوات الأوتار والمزامير والبرابط(٢) كلها أصوات حلوم(٣) حسنة •

ولكن قد يأتى الخاطر من الشيطان بحلاوة أيضا •• بل ربما كان أتم حلاوة — ف الصورة — من هذا الذى عليه العبد • ولكن(٤) مع ذلك ، ومهما ألح الشيطان على العبد فيه فان العبد لا يعود عليه أنس (أو راحة) •

ولذلك فانه اذا كانت للعبد هذه الأحوال(٥) (الشريفة) ووردت عليه خواطر من طرف الشيطان فان العبد يتوصل الى أنها من الشيطان وذلك لما يجد بينها وبين ما عنده من الحق (ف ميزان) الوحشة(٦) والاختلاف •

---

(١) ف النسختين (وبين ما معه من الحق) وقد قومنا النص بوضع الأسلوب على نحو أيسر •

(٢) كلمة فارسية مفردها (بربط) وهو آلة موسيقية ذات أوتار كالعود .

(٣) ف ف (خلق) .

(٤) ف ف (وكان) .

(٥) ف ج (الأصوات) .

(٦) ف ج (الوجه) .

أما اذا لم يكن للعبد شىء من الحق من الأحوال الشريفة فانه لا يتوصل على وجه الاستيقان : هل هى من الشيطان أم من الحق • على أنه اذا قوى ف الذكر ترقى(١) بالتدريج الى سماع الأصوات الإنسية ، فاذا(٢) ما ورد عليه خاطر من الشيطان بعدئذ ميزه بالضدية بينه وبين ما صار لديه من الحق — سبحانه(٣) •

---

(١) ف النسختين (فترقى) .

(٢) (الفاء) اضافة من عندنا .

(٣) اضافة من عندنا .

الفصل السابع

(٩)(السكون وإسقاط التدبير)

قال : مثل(١) المبتدئين مع الاحوال كمثل (الانسان) مع الطير الوحشى . فاذا(٢) كان فى الانسان حركه أو قوة أو اثر للحياة والحس فر منه (الطير الوحشى) واستوحش ولم(٣) يقع عليه . اما اذا سكن الانسان فان الطير الوحشى يتوهم أنه ميت لا حراك فيه . فيانس به ويقع عليه ولا ينفر منه .

كذلك(٤) المبتدىء فى الاحوال يجب أن تسكن حواسه والا تتحرك أنفاسه ، والا يحرك بدنه او جزء من بدنه ، والا يمد طرفه للاشياء(٥) . وان يكون مراعيا نهمته بحيث لا يتحرك جزء من نفسه او من بدنه او من باطنه حتى تبدو له الاحوال بعد طول هذه المراعاة(٦) .

وحينما ترد هذه الاحوال ينبغى الا ينظر اليها ، ولا الى ما يبدو له منها البته لئلا(٧) يحجب عنها . وبهذا (ينال) عليه المزيد منها — ان شاء الله تعالى .

---

(١) فى النسختين (معل) بدون نقط .
(٢) فى النسختين (فان) ولا بأس بها .
(٣) فى النسختين (ولا) .
(٤) فى ج (كذى) وفى ف (كذا) .
(٥) فى النسختين (ولا شيئا) .
(٦) فى ج (المراعات) بفتح التاء .
(٧) فى ج (ليلا) .

قال : وهذا الطريق — الذى هو طريق الله تعالى — لابد فيه من طول المجاهده ، والمقاساة لما تحتمله الأسماع والقلوب من الشدائد حينما تحل بالعبد .

والعبد لا يؤثر هذه المجاهدات (باختياره) ولكنه(١) حينما يسلك سبيل الله تعالى تدخل هذه المجاهدات عليه (شاء أم أبى)(٢) وانه لو كان منها شىء بتكلفه ما صبر عليها قليلا أو كثيرا .

(وتعود بى الذكرى) الى عهد ابتدائى فى الارادة والمجاهدة واحوال الذكر انه كان لو استتر عنى(٣) شىء من هذا السخاء(٤) لكان ذلك اهون على من أن أقوم للاكل أواتحرك للوضوء وغير ذلك . والى جاء وقت بعد ذلك حينما كنت أغيب فى الذكر أو يغيب عنى(٥) فيه الذكر كان يشق على التقصى عما أنا فيه حتى لا يفوت الذكر ، بل كانت تدخل على تلك المجاهدات — شئت ام أبيت لئلا أرد الى ما عليه الناس من احوالهم .

***

---

(١) فى النسختين (ولكن) .
(٢) فى ج (شما ام ابا) وفيها خطا فى النسخ .
(٣) فى النسختين (منى) والصحيح ما اثبتناه .
(٤) فى ف (السماء) ولكن الأحوال تيض الجود والسخاء .
(٥) فى ج (من) .

(١٠) مُطاردة النَّوم والغفلة

قال : وكانت تجرى على أشـياء فى حـال الذكر عند(١) قـر... (حصـول) كرامات ، ولكنها كانت فى ذلك الوقت (بعينه) أشـد من الزلة(٢) ، ولو ابتليت بالزلة لكان (صرفهـا) على أهون منها ، وذلك مثل مقاومة غلبة النوم . لقد كنت أريد الا انام البتة حتى لا أغيب عما انا فيه من الذكر لحظة واحدة .

لهذا .. كنت أسعد لأقعد على حجر ناتىء فى جدران بيتنا(٣) ... وكان هذا الحجر من الصغر(٤) بمقدار ما أضع عليه قدمى (فقط) . وكان من تحتى واد ، ومن فوقى شاهق(٥) .. وهكذا كنت أطرد النوم اذا توهمت نفسى مستلقيا على هذا الحجر الصغير المعلق فى(٦) الهواء دون أن يكون(٧) تحتى شىء !

---

(١) فى ج (عيد) .
(٢) فى ف (الزنا) .
(٣) غير واضحة فى النسختين .
(٤) فى النسختين (الحجر) .
(٥) فى ج (ساحق) .
(٦) فى النسختين (على) ولا بأس بها .
(٧) فى ج (كان) .

أو ربما شىء — وانا فى هذه الأحوال — بالمسجد وأريد أن(١) ادخل الزقاق(٢) .. فكنت أمنع نفسى عن ذلك حتى لا أنظر الى شىء (يشغلنى) فاقعد بالمسجد واجهد الا يأخـذنى النوم ، وأحيانا أنتبه فاذا انا أجد نفسى فى الزقاق !

كنت ارى هذه الأحوال ، وكنت أعدها غفلات ، وكنت أقول لنفسى ... نوم ما يقبضنى(٣) بالنوم عن الذكر ، وبه لا يجعل لى سـبيلا الى البسط(٤) .. (فاغالب حتى أتيقظ) ، وأعود الى الذكر .

---

(١) فى ج (ارهان) ولا معنى لها .
(٢) فى النسختين (الكوجـه) وهى كلمة فارسـية بمعنى الحـارة أو الزقاق .
(٣) فى ف (يقطعنى) .
(٤) فى ج (البسيط) وهى خطأ .

الفصل الثامن

(١١) (تنبيه للمُبتدئين)

قال الأستاذ :

المبتدىء — ق ابتداء آمره — يجتهد ويجتهد •• فيتباعد(١) عنه مقصوده — هكذا آجرى(٢) الله تعالى (سنته) •

ولكن •• بعدئذ وبفضل منه سبحانه يظهر له الكشف بعد ياس •

وهكذا كنت آنا ق الابتداء •• كنت كلما ازددت جهدا ازداد الشيء المقصود عنى(٣) بعدا ، تلك أيضا كانت سنته تعالى معى • ولكن بعد استدامة الذكر ، وورود احواله جاء وقت بلغت فيه الى موضع كنت آرى (بنفاذ البصيرة) جميع المخلوقات . وذلك حينما اصل الى الانتهاء الذى عنده تظهر آنوار الحق ويبلغ الذكر السر(٤) ، وبعدئذ آعاد الى البصر والى مثل أحوال الناس •

---

(١) ق ج (فيباعد) .

(٢) ق ج (كذى اجر) .

(٣) ق النسختين (منه) .

(٤) ق ج (يس) وهى خطا من الناسخ .

الفصل التاسع

(١٢) (نهايات الأحْوَال)

ومن خلوص الأحوال ما كان بينى وبين آبى الفوارس وآبى على الحسن(١) ناما عندى •• وكانت ليله العيد ، وكانا نائمين فخطر ببالى ان لو كان عندنا سمن لطعمنا اليوم كذا وكذا •

واذا بابى الحسن وهو ق النوم يقول :

الق هذا السمن من يدك ! ايش هذا ؟ وكرر ذلك ثلاث(٢) مرات • فايقظته من النوم •• وقلت له : ايش تقول ؟

فقال : لا شيء •• الا انى كنت آرى ق النوم كاننا ق موضع رفيع ، وكانت ارادة الحق آن تظهر آنوار الهيبه . ووقعت الهيبه(٣) على الناس ، وانت معنا وبيدك سمن فصحت بك قائلا : آلق السمن(٤) من يدك •

ومرة آخرى كنا قد بلغنا ذكر القلب فقال لى ابو على الحسن : اذهب معى الى بعض القرى(٥) ••

---

(١) ق ف (ابى الحسن) وعند ابى ابا الحسن الخرقانى ، ولكن بمعرفته بشيخ القشيرى الذى عليه ، واخذ عنه طريقته تجعلنا نفترض انه هو المقصود (انظر ترجمة القشيرى ق المقدمة) .

(٢) ق ج (ثلث) .

(٣) ق ج (الهبة) بدون باء والمقصود حال الهيبة .

(٤) ق ج (سمن) بدون أداة التعريف .

(٥) ق النسختين (بعض الرساتيق) وهى جمع رستق كلمة فارسية بمعناها القرية .

وسرنا ، ثم قال لى ونحن فى الطريق :

أقعد على هــذا الحجر ، وأطبق ما بين شفتيك وقــل : يا الله يا الله يا الله(١) .

ففعلت ، واجتهدت الا أفتح الفم حتى امتلأ بالذكر ، وعاد الذكر الى السر ، وبقيت فى ذلك الــوقت على هــذا وأجتهــد فى سر أن اداوم : يا الله يا الله يا الله واجرى فى سرى ذلك ، وقد يجاوز الخلوة(٢) او لا يجاوزها .. الى أن صار ممتدا .. ثم أخذت عنى ففنيت . فلما أعدت ــ وكان عند(٣) الصلاة ــ حملنى (الشيخ) فى تلك الليله الى القرية . وفى الليلة (ذاتها) ردنى الى البلد .

وأخذت فى النحول حتى صرت عظاما ولا لحم لى(٤) البتــه . ولم يبق لى منه الا جلدا(٥) .. كل ذلك فى يوم واحد وليلة واحدة !

---

(١) فى النسختين قل (خــدائى) وهى كلمــة بالفارســية معناهــا يا الله او يا الهى .

(٢) فى ج وف (الخلاء) وهى مصدر خــلا خلاء وخلوة وقــد آثرنا (خلوة) لانها الاقرب الى الأذهان فى السياق .

(٣) فى النسختين (بعد) ويمكن قبولها لان الفرق الثانى بعــد جمع الجمع لأجل الفرائض يحدث عند الصلاة ، فحمله (بعدها) .

(٤) فى النسختين (على) وهى مقبولة فى السياق ايضا .

(٥) فى ف (جلده) .

وبقى عندى(١) كل ذلك ، والى سنة (كاملة) لم تعد لى حالتى من قــوة الحس(٢) . كما أنــه لم يرد على البتــه شىء يزيد فى حالى او ينقص منه .

" تم الكتاب "

بعون الله وحسن توفيقه .

---

(١) فى ف (على) .

(٢) فى ف (النعس) ويمكن قراءتهــا (النفس) وسكون الحواس والانعكس من امارات التمكين (راجع فصل السكون واسقاط التدبير) من هذا الكتاب .